DE GAULLE (1890-1970)

الفصل الثالث عشر

# هانيبال

لاشك أن القراءة هي غذاء العقل، والإنسان بلا عقل.. هو حيوان، ولقد ميزنا الله سبحانه وتعالى ومنحنا العقل كي نفكر ونعيش حياة سعيدة.

والقراءة عندي كانت تسليتي الوحيدة في أوقات فراغي النادرة، ولم يكن هذا الوقت إلا قبل النوم كنت أقرأ كتب التاريخ والسياسة والعظماء من الذين حكموا العالم.

ولعل قصة نابليون بونابرت هي أروع ما قرأت، والإسكندر الأكبر ويوليوس قيصر وقصة عذراء اللورين « جان دارك » الفتاة الريفية ذات السابعة عشر ربيعاً التي كافحت وناضلت في سبيل الحرية وماتت شهيدة حفاظاً على مبادئها وعقيدتها..

ولا يفوتني أيضاً أن أذكر هذه القصة الرائعة قصة هانيبال التي ذكرها مونتجومري في كتابه « الحرب عبر التاريخ »، لأنها مليئة بالأحداث التاريخية والخطط الحربية التي ينبغي أن يتقنها كل قائد حربي وكل من حمل السلاح دفاعا عن وطنه.

### التوسع الروماني

إننا نتحرك الآن إلى الأمام، نحو العصر الروماني، وتشير لنا القصة التي نحن بصددها إلى أن الرومان قد امتلكوا المقدرة السياسية والإدارية التي مكنتهم من تعزيز فتوحات قادتهم لصالح الجمهورية التي صارت فيما بعد إمبراطورية، والجدير بالذكر أن هذه المقدرة افتقرت إليها اليونان القديمة وسنرى أن كلاً من التطور الاجتماعي والتنظيم العسكري الروماني قد أثر كل منهما في الآخر بعمق لذلك أخذت روما تتحول من مجرد

ولاية إلى إمبراطورية، ومن الممتع أن نلاحظ في الحروب التي شنتها روما ضد خلفاء الإسكندر الأكبر استخدامهم للكتائب المشاة اليونانية في أول الأمر ولكن ظهر لهم أهمية وفائدة القتال بحشد وبتشكل مفتوح أكثر من التشكيل اليوناني المنظم ومن هنا ظهر أهمية القتال بفرق كاملة.

ولقد لمعت روما في عام ٧٥٣ ق.م كما تقول الأسطورة، وكانت في ذلك الوقت مجرد ولاية من بين عديد من الولايات، ولكنها بعد مرور ٥٠٠ سنة سيطرت على شبه الجزيرة الإيطالية وبعد ذلك بـ ٧٥٠ عامًا حكمت كل غرب أوروبا ودول البحر المتوسط وكان ظهور روما كدولة بارزة في إيطاليا شيئاً طبيعياً وليس حدثاً عرضياً كالمثل القائل «البقاء للأصلح» فكان هذا الشعب يؤمن بنفسه وأهمية الدفاع عن كيانه، فأدى هذا إلى أن أصبح الرومان ذوي ميول حربية ونزعات عدوانية.

وعلى مر القرون هزموا كلاً من التسكانيين والفاشيين والسمنيين وصدوا هجوم الغال وردوهم على أعقابهم، ولكن في عام ٣٢١ ق.م هزم الرومان هزيمة منكرة في كودين فوركس إلا أنهم انتقموا على اتحاد كل من الغال والسمنيين في موقعة سنتينوم عام ٢٩٥ ق.م، مما أعطى روما السيادة على إيطاليا الوسطى، وفي عام ٢٧٥ ق.م هزموا الأبيروس في موقعة بينفنتوم وهذا حقق السيطرة على جنوب إيطاليا.

ولا نعرف سوى القليل عن الجيش الروماني قبل القرن الرابع ق.م ويعتقد أن سيرفيوس توليومس ملك تسكاني، قام في القرن السادس ق. م ببناء أولى تحصينات روما مع تنظيمها لتكون قاعدة عسكرية. وأصبح الرومانيون دولة عسكرية، فجميع الذكور ما بين سن ١٤ و ٤٦ يعتبرون صالحين للخدمة العسكرية أما الرجال ما بين ٤٦ و ٦٠ فيعتبرون صالحين للاستدعاء كاحتياط.

وكان لهم مجلس يدعى للاجتماع في ميدان مارس بواسطة النداء في النفير، وكان هذا الميدان يقع خارج أسوار المدينة. وكان المواطنون مقسمين إلى درجات. الفرسان وهؤلاء عبارة عن درجتين عليا وصغرى وهذا يتوقف على مسؤولية الأفراد من حيث الخدمة ودفع ضريبة الحرب. وكانت الدرجات الصغرى تمثل القوة العسكرية الرئيسية وكان الأغنياء منهم يلبسون رداء الهوبليت الكامل مع خوذة برنزية ويسلحون بدرع

واقية للصدر والأرجل وحربة وسيف، أما الفقراء منهم ويطلق عليهم فيليت. وكان التكتيك المستخدم في ذلك الوقت مقارباً لما يستخدمه الهوبليت، أما الفرسان فكانوا عبارة عن مشاة راكبة فقط.

وكان على الرومان أن يبدؤوا من جديد في تكوين جيش متطور بعد الهزيمة الفادحة التي تلقوها على أيدي الغال عند نهر أليا عام ٣٩١ ق.م. وفي الجيلين اللاحقين وبوحي من ماركوس فيوريوس كاميلوس أعيد تحصين روما كما أعيد تنظيم جيشها الذي كان مكوناً من المجندين من السكان وتدفع لهم الأجور عند القتال لفعلي. وقد حلت الفرق الكاملة بدلاً من الكتائب وأصبحت المشاة الثقيلة هي القوة الرئيسية للفرقة، ولكن الفرقة كانت تضم في تنظيمها مجموعات من الفرسان والفيليت.

وتشكل الفرقة المشاة الثقيلة في ثلاثة خطوط، الخط الأمامي أو المقدمة والخط الرئيسي ثم خط المؤخرة وكل خط من هذه الخطوط الثلاثة يضم عشر سرايا، أما المشاة الخفيفة فتنتشر بين هذه السرايا، وكانت هذه الفرقة توزع سراياها على شكل مربع بحيث تغطي السرايا الخلفية الفواصل بين السرايا الأمامية، وكان عمق الخط الواحد أربعة صفوف من الجنود. ويضم الخطين الأولية على ١٠ سرايا أي كل خط به ١٢٠٠ جندي بينما المؤخرة « الخط الثالث » تحتوي على ٦٠٠ جندي، وتوضع الفرسان على الأجنحة وكانت الفرقة بها ٣٠٠ فارس مشكلة في ١٠ فصائل، وفيما بعد ارتفع عدد جنود الفرقة المشاة حتى وصل إلى ٦٠٠٠ جندي عندما تم تجنيد أعداد كبيرة من حلفاء الإيطاليين.

وكان الجنود في الخط الأول والثاني يحمون أنفسهم بخوذات نحاسية ودروع واقية للصدر بالإضافة إلى دروع نصف أسطوانية مثلثة الشكل ويتسلحون برمحين قصيرين وخنجر طويل وسيف طوله قدمان مزدوج الشفرة. وكان جنود المؤخرة يتسلحون بنفس الأسلحة ما عدا الرمحين وقد حل محلها حربتان. وقد تطور تسليح الفيليت فأصبح سيفاً ورمحين قصيرين ودرعاً مستديرة قطره ٣ أقدام ويلبسون في رأسهم غطاء من جلد الذئاب. ومن المحتمل أن يكون الرومان نقلوا صناعة الرماح عن الغال. وفي بعض الأحيان كان هذا الرمح يقذف بمساعدة سير مثبت خلف مركز الثقل، وعند

تحرير هذا السير ينطلق الرمح طائراً في حركة حلزونية فتزيد من مجاله ودقته، وقد بطل العمل بهذا الجهاز في القرن الثاني ق.م عندما لم تتطلب التكتيكات سوى القذف القصير الذي لا يتجاوز ٢٥ ياردة. أما وحدات الخيالة في الفرق فكانت فقيرة التسليح، فلم تتجاوز درعاً من الجلد وحربة وسيفاً.

## الفرقة المشاة في الهجوم

وكانت الحكمة من تشكيل الفرقة على هيئة مربعات هي إتاحة المرونة في الدفاع والسهولة في الهجوم حتى يمكنها مواجهة المشاة اليونانية الصلبة أو جحافل الغال. ويبدأ هجوم الفرقة المشاة بدفع الفيليب لمناوشة العدو وتغطية تقدم المشاة الثقيلة، وعندما تدخل قوات الخط الأول مجال المعركة تطلق رماحها ثم تلتحم مع العدو بالسيوف وخلال القتال تدعم قوات الخط الثالث قوات الخط الأول بالمقاتلين بدلاً ممن قتلوا أو أصابهم الإرهاق وكان قادة الفرق مدربين على إحلال خط كامل محل خط آخر مع القيام بهجوم جديد ضد العدو، إما إذا ساءت الأمور. فتندمج قوات الخط الأول مع قوات الخط الثاني في خط واحد ويتراجعوا خلال الفواصل بين مجموعات قوات الخط الثالث التي تقاتل في ذلك الوقت وهي ثابتة. أما الفرسان فكانت تستخدم للاستطلاع والمطاردة ولم يكن لها دور رئيسي في التكتيك الكلاسيكي للفرقة، وفي الحقيقة كانت الفرسان تقاتل مترجلة وليس من على ظهور الخيل، وقد استطاع الرومان تطبيق هذا الأسلوب بكفاءة نتيجة للتنظيم والتدريب العالي للقوات وكان يوضع في الخط الأول الجنود المدربين من الشباب حتى تكون القوة الضاربة أكثر تأثيراً وتركيزاً، بينما يوضع الرجال الأكبر سناً في الخط الثالث ليكونوا بمثابة احتياطي للصفوف الأمامية عند الحاجة. وكان الرومانيون يقومون دائماً بهجوم نهائي بقوات جديدة محتفظة بنشاطها فيتحقق النصر. وكان استخدام أسلوب الثلاثة خطوط في الهجوم مفيداً جداً بالنسبة للروح المعنوية للجنود، فهذا النظام كان يضمن ١/ ٣ الجنود بعيدين عن منطقة الخطر لأطول وقت ممكن، كما كان يعطي فرصة كافية للجبهة المهزومة للانسحاب بأمان.

وقد وصف فوللر الجيش الروماني على أنه أعظم جيش دفاعي في التاريخ فكانت للفرقة المشاة معسكر محصن يقوم بدور المؤخرة لها، وإذا دعت الضرورة كانوا يبنون

معسكراً جديداً في نهاية كل يوم حتى ولو كان ذلك على حساب اختصار وقت السير في الصباح إلى ثلاث أو أربع ساعات حتى يستغلوا فترة بعد الظهر في عمليات الحفر. وكان حجم وشكل العسكر يختلف تبعاً لطبيعة الأرض، ولكن في الغالب يبني على شكل مربع كبير وبدرجة تسمح باستيعاب فرقتين من المشاة ويجري تحصينه بالأسوار والخنادق والمتاريس، وكان الرومان يتحملون مشاقاً في بناء المعسكرات لسببين :

**أولاً** : لأنهم عرفوا قيمة الأمن والراحة. فكانوا يمضون معظم وقتهم في تلك المعسكرات للتدريب والتمرينات الرياضية ليحافظوا على لياقتهم البدنية وينموا قدراتهم على الثبات مع الضبط والربط، وكانت هذه الصفات ضرورية لتكتيك الفرقة والتي كانت على أي حال صفات طبيعية في جنود الرومان.

**وثانياً** : عندما تخوض الفرقة القتال يجب أن يكون بالقرب منها منطقة محصنة تستطيع الانسحاب إليها إذا ساءت الأمور ونتيجة لذلك لم تصل هزائمهم إلى حد الكارثة. وكان جنود الرومان أثناء السير يحملون بخلاف أسلحتهم حملاً ثقيلاً يتضمن أدوات الحفر ومعدات الطهي. وكان غذاء الجنود الرئيسي داخل المعسكرات عبارة عن الخبز ولم يحصلوا على تغذية جيدة، بينما القليل جداً منهم كان يتناول اللحم.

**القيادة**

كانت قيادة الجيش في يد قنصلين ينتخبان سنوياً وهم بصفة عامة من السياسيين وليس لهم دراية بفن القيادة العسكرية. وكان الغرض من هذا الازدواج الغريب في القيادة هو التقليل من احتمال قيام دكتاتورية عسكرية، ولكن كان هذا النوع يعتبر من الحماقة العسكرية لأن الانتخاب السنوي أدى إلى صعوبة استمرار سياسية، وحدة علاوة على أن أعمال القيادة اليومية كانت تصطدم دائماً بحائط ضخم بسبب اختلاف وجهتي نظر القنصلين المنتخبين، وكان يحل هذا المشكل بانتخاب قائد دكتاتوري لفترة الطوارئ.

وفي القصص الشعرية لروما القديمة روي ماكولي عن معركة بحيرة ريجيللوس عندما لم تسر الأمور كما ينبغي :

« في الأوقات العصيبة، من الأفضل أن يتحمل شخص واحد المسؤولية، فيجب أن

يختار قائد ديكتاتوري ليطيعه كل الناس، وذلك لمدة ستة شهور فقط وليس أكثر ».

وتلك نصيحة ممتازة، وربما تكون أكثر سهولة في العالم اليوم، على أن ينتخب ديكتاتور لمدة ستة شهور فقط.

ولم يكن لدى الرومان طبقة من الضباط الأرستقراطيين. وكانت السرية هي الوحدة التكتيكية الرئيسية ويقودها قائدان. أما القيادة التكتيكية للفرقة فكان يسيطر عليها ويتحكم فيها الموثوق بينهم من المحترفين والذين يفهمون رجالهم جيداً، ويصف بوليبوس هؤلاء القادة :

« ليس رجالاً مغامرين أو متهورين بل كان لديهم الاستعداد الطبيعي للقيادة، فيتميزون بالمثابرة والروح المتأصلة ويصمدون أمام جحافل العدو وضغوطه الساحقة، ومستعدين للموت دفاعاً عن مواقعهم، لقد كانوا مثابرين شجعان يفهمون الحرب جيداً وأنها عمل يجب أن يؤدى تماماً، وكان السبب الرئيسي لنجاح روما في معظم حملاتها أنها أنتجت ضباط صف من الدرجة الأولى وجنوداً ممتازين.

وهكذا كانت الفرقة مكونة من ثلاثة خطوط من المشاة الثقيلة المسلحة بالرماح والسيوف، ومدعمة بالمشاة الخفيفة والفرسان. وكانت المشاة مدربة على القيام بالأعمال الشاقة. وأصبح تنظيم الفرق المشاة ثابت لأكثر من ٧٠٠ عام بعد منتصف القرن الرابع ق.م، بالرغم من أن بعض القادة القادرين قاموا ببعض التغير إلا أنه لم يحدث أي تغيير جوهري في تنظيم الفرقة المشاة، وعندما ندرس حروب الرومان سيظهر لنا مواطن الضعف والقوة في هذه الفرق.

### هانيبال يغزو إيطاليا :

لقد اتسعت مصالح روما السياسية والتجارية في منتصف القرن الثالث ق.م حتى وصلت إلى التحدي لقرطاجة أغنى دولة في الغرب فنشب أولى الحروب القرطاجية ما بين ٢٦٥ - ٢٤١ ق.م وانتهت لصالح روما، إلا أن قرطاجة في عام ٢٢٠ ق.م استعادت قوتها مرة أخرى في إسبانيا، وفي عام ٢١٨ ق.م قام هانيبال وهو قائد روماني عمره ٢٩ عاماً بعد عدة استفزازات بعبور جبال البرانس لغزو إيطاليا وذلك لسببين أولهما بسبب النفوذ الإيطالي الذي أخذ يؤثر على التاريخ العالمي وثانيهما دورها القيادي للشرق

والغرب.

والحرب القرطاجية الثانية « ٢١٨ - ٢١٠ ق.م » جديرة بالدراسة لأن كل من قرطاجة وروما متساويين في القوة، وكل منهما على يقين تام من أنه لابد من الانتصار وإلا سيدمر دماراً أبدياً.

وقد زرت تونس التي تقع فيها أرض قرطاجة وشاهدت المدينة القديمة هناك وذلك بعد نهاية الحرب في شمال إفريقيا عام ١٩٤٣.

لقد درس هانيبال منذ الصغر الحرب والأسلحة، وقام بدراسة شاملة لفنون الحرب الإغريقية والرومانية، وقاد الجيوش لمدة ثلاث سنوات وكان واثقاً تماماً أنه سيهزم الرومان وقد عبر جبال البرانس بجيش مكون تقريباً من ٤٠٠٠٠ مقاتل و٣٧ فيلا وكان معظم جنوده آتين من أنحاء متفرقة من إفريقيا وأسبانيا، كما قام بإلحاق مجموعات أخرى وهو في طريقه إلى إيطاليا من الغال، وكان أغلب جيشه من المرتزقة ولم يجمعهم تحت قيادة واحدة.

وتمثل القوة الرئيسية لجيش هانيبال من المشاة الخفيفة المسلحة بسيف قصير وحربة ودرع واقي صغير، بينما كان أكفأ قواته الراكبة من حملة الرماح النورميديين تحت قيادة القائد المحنك ماهربال. وقال بوليبوس: « لم يكن جيش هانيبال كثير العدد، ولكنه ذو كفاءة عالية... ولياقة بدنية ممتازة. »

وخلال فترة الحرب، كان القرطاجيون يواجهون بأعداد كبيرة من الرومان الذين رفعوا عدد فرقهم من ٥ إلى ١١، وفي المراحل الأخيرة للحرب وصل عدد الفرق الرومانية إلى عشرين فرقة أي ١٠٠٠٠٠ مقاتل، ولم تكن إستراتيجية هانيبال تهدف إلى تدمير روما ولكن ليفقدها فقط السيطرة على الحلف الإيطالي مع إجبارها على التعايش مع قرطاجة. وقد قال هانيبال: « لم أحضر لأقاتل الشعب الإيطالي، ولكن لأحرر الإيطاليين من سيطرة روما. »

وتقدم هانيبال سريعاً حول البحر الأبيض متوسط، وخلال عبوره لجبال الألب تعرض لهجمات رجل القبائل ثم لسقوط الثلج المبكر ما أدي إلى هبوط قوة جيشه حتى وصلت إلى ٢٠٠٠٠ من المشاة و ٦٠٠٠ من الفرسان، وبعد اشتباك ناجح عند نهر

تيسينوس استطاع هانيبال وجنوده من عبور نهر البو. وفي ديسمبر عام ٢١٨ ق.م عند نهر تريبيا حقق أولى انتصاراته العظيمة الثلاث فاستطاعت فرسانه وفيلته إجبار الرومان ودفعهم إلى نهر تريبيا مما أدى إلى تدمير ثلثي الجيش الروماني تماماً مع فرار حوالي ١٠٠٠٠ مقاتل عبر منطقة الوسط.

وقرر الرومان في عام ٢١٧ ق.م عدم مواجهة فرسان قرطاجة المتفوقة في السهل على أن يلتقوا بهم من أقصى الجنوب عند جبال الأبنين. ومع ذلك في شهر أبريل من نفس العام استطاع هانيبال من حصر جيش فلامينيوس بين التلال والشاطئ الشمالي لبحيرة تراسيمين، لإهمال الرومان إجراء الاستطلاع والمخابرات مما أدى أن هانيبال قام بهجوم مفاجئ من سفوح التلال، وفي خلال ثلاث ساعات تمكن من تدمير وأسر كل قوات العدو. وبعد هذا الانتصار أعلن هانيبال تحرير إيطاليا من السيطرة والسيادة المطلقة لروما. ثم هبط إلى ساحل الأدرياتيكي حيث استولى في ربيع عام ٢١٦ ق.م على قاعدة الإمداد الرومانية في كانا.

### معركة كانا

وفي أغسطس استعد الرومان للقتال عند كانا، فقام هانيبال بتنظيم جيشه على شكل هلال محدب، بحيث وضع المشاة الأسبانية والغالية في منطقة الوسط، أما القوات الإفريقية على كلا الجانبين والفرسان على الأجنحة، أما مشاة الرومان فتشكلوا بالطريقة التقليدية على شكل صفوف متوازية، وابتدأ هانيبال الهجوم وهزم فرسان الرومان هزيمة نكراء، وترك مشاتهم تتقدم متوغلة داخل صحن الهلال القرطاجي حتى أخذ شكل مقعر، وفي هذه اللحظة دفع هانيبال المشاة الأفريقية من اليسار واليمين لتطويق أجنحة الرومان، واكتملت المعركة عندما عادت فرسانه بعد مطاردة فرسان العدو وهاجموا مؤخرة مشاة العدو. وقد قال فوللر عن هذه المعركة: « تم الهجوم من أربعة جوانب فأبيد الجيش الروماني وكأن زلزلاً قد أبتلعه ».

وفي معركة كانا هذه أبيد الجيش الروماني الضخم المشكل من ٧٠.٠٠٠٠ مقاتل وذلك لقيادة هانيبال الحكيمة وحماقة القائد الروماني القنصل هوكيوس تارينتيوس فارو رجل الأعمال الذي كان في منصب القائد.

وهذه المعركة تعد بمثابة أعظم وأفدح كارثة للجيش الروماني.

## الحرب حتى الموت

استسلمت معظم دويلات جنوب إيطاليا لهانيبال، بما في ذلك كابوا « مدينة كاسرنا حالياً » الهامة، ولكن روما ظلت تابتة وظل الأسطول الروماني يحكم البحار. وألح ماهربال على هانيبال بالزحف نحو روما في الحال، ولكن هانيبال رفض، لأن استراتيجيته كما قلنا لم تكن مواصلة الحرب حتى الموت، ولكن ببساطة إخضاع روما لشروطه وعلى أي حال فكان هانيبال يفتقر إلى المواد التي تمكنه من القيام بعمليات حصار كبيرة.

بعد ذلك نشبت حرب الاستنزاف، حيث استغل الرومان قلاعهم وأعدادهم الكبيرة التي يقودها كوينتوس فابيوس مكسيموس وكان يطلق عليه « البطيء الحذر » واستطاع إرهاق وإضعاف قوات هانيبال، وإبقائه في جنوب إيطاليا ولكنه لم يجرؤ على مهاجمته. وفي عام ٢٠٨ ق.م. حققت روما نصراً بحرياً فأعاد لها سيادتها البحرية وسهل إمكانية غزو إفريقيا في المستقبل.

وبعد معركة كانا بعشر سنوات ابتسم الحظ لروما وحققوا نجاحاً باهراً في إسبانيا، ففي عام ٢١٨ ق.م أرسل جيشاً رومانيا إلى إسبانيا وفي أول الأمر أبلى بلاءً حسناً، ولكن في عام ٢١١ ق.م تخلى الحلفاء الأسبان عن الرومان، فلحق بهم هزيمة نكراء فعادت فلولهم إلى شمال نهر الأبرة. وفي عام ٢١٠ ق.م أسندت قيادة الجيش الإسباني إلى بوبليوس كورنيليوس سيبيو البالغ من العمر خمسًا وعشرين سنة وعرف فيما بعد باسم أفريكانوس.

وقد وضح أن سيبيو سيصبح أعظم القادة الرومان، وذلك أثناء حضوره كارثتي تيسينوس وكانا وأظهر فيهما شجاعة باهرة جعلته قائداً معروفاً ومحبوباً من الشعب. فقد درس الحرب بعناية وعقل متفتح. ففي عام ٢١٠ ق.م نزل إلى إسبانيا عند أمبوريوم ومعه ١٠.٠٠٠ مقاتل بغرض جمع شتات الجيش الروماني المبعثر هناك وإعادة تشكيل قوة تعادل أربعة فرق، وعلى الفور شرع سيبيو في تنظيم جيشه ورفع معنويات رجاله ثم اتخذ خطوة جريئة بإشعال الحرب القرطاجية الثانية، وبدلاً من مهاجمة جيوش العدو

الثلاثة في إسبانيا، اتجه فوراً إلى قرطاجة الجديدة التي تمثل القاعدة الرئيسية للعدو وتبعد ٣٠٠ ميلاً إلى الجنوب على الساحل وتحتاج إلى مسيرة عشرة أيام لكي تصل قوات العدو لنجدتها، لذلك قرر قطع هذه المسافة بجيشه وأسطوله في حوالي أسبوع وبذلك وجد أن لديه الوقت الكافي قبل وصول العدو. كانت القلعة هناك مقامة على نتوء صخري، ومدافع عنها بقوة، ولكن سيبيو أخذهم على غرة وقام هو ورجاله بخوض المياه الضحلة حول القلعة وتسلق أسوارها في أضعف نقطها بالسلالم، ولم يستغرق الأمر طويلاً وسقطت قرطاجة الجديدة واستولى بذلك على قاعدة الجيش واحتلت قواته الجناح الشرقي ومؤخرة العدو.

وفي عام ٢٠٨ ق.م تصدى سيبيو لجيش هازدروبال عند بايكولا في الأندلس وهزمه، وقام القرطاجيون ببناء قوتهم مرة أخرى، وفي عام ٢٠٦ ق.م تقابل سيبيو مع الجيوش المتحدة المشكلة من جيش ماجو وهازدروبال جيسجو عند إليبا وبالرغم من التفوق العددي لهذه الجيوش إلا أن سيبيو حقق نصراً حاسماً عليهم.

فقد دفع الرومان الفرق القوية الموجودة على الأجنحة إلى الأمام مدمرة أجنحة الجيش القرطاجي قبل أن يتقابل الخصمان في منطقة الوسط ثم اتجهت بعد ذلك هذه الأجنحة الرومانية إلى الداخل لحسم المعركة، فانسحب الأعداء وأخذ سيبيو يطردهم حتى البحر حيث استسلموا.

وفي عام ٢٠٥ ق.م تم لسيبيو تطهير إسبانيا من جميع القرطاجيين وبعدها عاد إلى روما.

## هانيبال يقابل سيبيو

أدى هذا أن فقدت قرطاجة سيطرتها على إسبانيا وتحقق السلام مع كل من صقلية وسردنيا ومقدونيا، بينما ظل هانيبال وجيشه في جنوب إيطاليا.

وفي روما اتجهت النية في مجلس الشيوخ إلى خنق جيش هانيبال حيث هو، ولكن سيبيو اقترح خطة إستراتيجية مختلفة، وذلك بإبقاء هانيبال كما هو في جنوب إيطاليا بينما يهاجم قرطاجة في شمال إفريقيا، وأظهر المجلس تشككه في اقتراح سيبيو، ولكن في النهاية سمح له بالذهاب إلى صقلية ومعه فرقتين وهناك بدأ سيبيو في تجنيد وتنظيم

وتدريب جيشه وقام بالتحالف مع ماسينيا ملك نوميديا الذي مده بفرسان من الدرجة الأولى.

وفي ربيع عام ٢٠٤ ق.م وصل سيبيو إلى إفريقيا ومعه ٢٥.٠٠٠ مقاتل بالإضافة إلى ما مده ماسينيسا. وهناك واجه جيشاً قرطاجيا مكون من ٢٠.٠٠٠ من المشاة و٦٠٠٠ من الفرسان بالإضافة إلى ١٤٠ فيلاً تحت قيادة هازدروبال وسوفاكس ملك ماسيسيللي. وبعد حصار ناجح لمدينة أتيكا اتجه شتاءً نحو كاسترا كورنيليا وهناك حاصره سوفاكس وأصبح في موقف حرج إلا أنه استخدم الخداع وتظاهر بطلب الهدنة، فخدع أعداءه وعلى الفور أمر رجاله بإحراق معسكر الأعداء وكان من الضروري على سيبيو أن يهاجم جيش هازدروبال قبل وصول هانيبال إلى إفريقيا، لذلك في ربيع عام ٢٠٣ ق.م تقدم سيبيو ومعه فرقة واحدة وبعض الفرسان حيث التقى بجيش العدو عند سهل باجراداس وهزمهم بأسلوب تكتيكي جديد غير التكتيكات الرومانية المعتادة وذلك بالقيام بهجومين بالفرسان في وقت واحد على أجنحة العدو كما أسر سوفاكس.

وبدأت قرطاجة تطلب السلام واستدعت هانيبال بعد أسر سوفاكس. وفي عام ٢٠٢ ق.م عاد هانيبال إلى إفريقيا ومعه جيش مكون من ١٥.٠٠٠ مقاتل فما كان من القرطاجيون أن قرروا استئناف الحرب. وفي السنة التالية خرب سيبيو وادي باجراداس الخصب، وفي الخريف التقى سيبيو مع جيشه هانيبال عند زاما[1] ودارت آخر معارك الحرب القرطاجية الثانية في عام ٢٠٢ ق.م.

كان قوم كل من الجيشين حوالي ٤٠.٠٠٠ مقاتل، وربما كان هانيبال متفوقاً بعض الشيء من الناحية العددية إلا أن معظم مشاة سيبيو كانوا مدربين تدريباً جيداً ووصل عدد فرسانه إلى ٤٠٠٠ فارس وكان لدي هانيبال حوالي ٣٠٠٠ فارس. ولأول مرة في تاريخ قيادة هانيبال أن يصبح جيشه ناقص العدد بتلك الدرجة وخاصة في الفرسان وكان هذا يعني أنه لن يستطيع استخدام أسلوب التطويق الذي برع فيه وكما حدث في كانا.

وربما حدث نتيجة لذلك ما لم يكن في الحسبان، فطبقاً لما قاله ليفي :« اقترح هانيبال على سيبيو التقابل معاً بين جيشيهما لمناقشة الأمور سوياً ». وإنني أعتقد أنه من الصعب

(١) زاما تقع على مسيرة خمسة أيام إلى الجنوب الغربي من قرطاجة.

حدوث ذلك في القرن العشرين، فلو اقترح على روميل مقابلتي بين حطوطنا قبل معركة العلمين لرفضت بالرغم من أنني كنت سأستمتع جداً بمقابلة خصمي القائد الشهير والذي لم أقابله قط.

وعلى العموم فقد تقابل هانيبال مع سيبيو في وجود المترجمين ومن المحتمل جداً أن هانيبال عرض شروط للسلام ولكن سيبيو رفضها وعاد كل منهما بعد تلك المقابلة إلى معسكره.

### معركة زاما

وفي فجر اليوم التالي استعد الجيشان للقتال، فقام هانيبال بتوزيع قواته وكانت تدل على أنه يدرك ضعف جيشه عن جيش العدو لذلك وضع ٨٠ فيلا في مقدمة القوات، واصطفت مشاته في ثلاثة خطوط وكان الخط الأول مكوناً من المشاة الثقيلة من الليجور والغال وانتشرت المشاة الخفيفة بين الفواصل، أما الخط الثاني فضمنه القوات التي لا يثق فيها كثيراً وهم المجندون الجدد من قرطاجة وإفريقيا، أما الخط الثالث فكان مكونا من المشاة المحنكة من الإيطاليين وكان يبعد عن الخط الثاني ٢٠٠ ياردة حتى لا يعزل أو يحاصر بواسطة العدو أثناء قيامه بالضربة الحاسمة، ووضع هانيبال ١٠٠٠ فارس قرطاجي في الجناح الأيمن و١٠٠٠ فارس نوميدي في الجناح الأيسر، وكان هدفه من ذلك اختراق الجبهة الأمامية للرومانيين وقد أعتمد في هذا على الفيلة.

أما سيبيو فلم يوزع مشاته الثقيلة على شكل مربع بل استغل تفوقه العددي وشكلها في طوابير بينها ثغرات لكي تمر منها الفيلة فيتعامل معها الفيليت، وجعل المسافات بين الصفوف أوسع من ذي قبل ووضع المؤخرة بعيداً في الخلف لإيجاد المسافة المناسبة إذا اضطرت المشاة الثقيلة للانسحاب، أما قوته الضاربة فكانت مشكلة من الفرسان النوميديين التابعة للملك ماسينيسا وحشدها على الجناح الأيمن، أما الجناح الأيسر فحشد فيه الفرسان الإيطاليين تحت قيادة لايليوس.

وبدأت المعركة ببعض المناوشات التي قامت بها الفرسان النوميديين لكلا الجانبين بالمواجهة، وعندئذ بدأ هانيبال هجومه بالفيلة، وأثناء تقدمها نحو الجيش الروماني أمر سيبيو بإطلاق الأبواق والنفائر على طول خطوطه، وأحدثت هذه الصفارات المفاجئة

ذعراً بين الفيلة الموجودة على اليسار فاستدارت عائدة واندفعت فزعة نحو فرسان هانيبال محدثه إرباكاً كبيراً فاستغل ماسينيسا الظروف وقام بهجوم أبعد به هذه الفرسان عن ميدان المعركة، أما في منطقة الوسط فقد دفعت سرايا سيبيو الثمن فقد صبت الفيلة جام غضبها على الفيليت ولكنها لم تلمس المشاة الثقيلة ومرت خلالهم ثم قام فرسان الرومان بمطاردة الفيلة بالرماح نحو يمين القوات القرطاجية وعلى الفور استغل لايليوس ما حدث من إرباك في صفوف فرسان العدو، كما حدث تماماً مع ماسينيسا في الجناح الآخر، واندفع بفرسانه نحو الجناح الأيمن لفرسان هانيبال وبذلك هزمت فرسان هانيبال على كلا الجانبين هزيمة منكرة وأصبح كلا الجناحين مكشوفين، وأثبتت الأحداث بأن الفيلة من الممكن أن تكون مصدراً للكوارث.

وعلى الفور بدأت فرسان الرومان بمطاردة فرسان هانيبال إلى مسافة بعيدة وبعد ذلك بدأت المرحلة الثانية للمعركة وهي الاشتباك مع المشاة، وفي البداية كانت الأمور تسير لصالح مشاة الليجور والغال في جيش هانيبال وذلك لخفة حركتهم، ولكنهم لم يستطيعوا اقتحام واختراق الخط الروماني القوي فما كان من الرومانيين أن دفعوا المقدمة، وابتدأت تشتبك مع الخط الأول لهانيبال ولم يتمكن الخط الثاني لهانيبال من مؤازرة وإمداد جبهته المتقدمة، وعندما شعرت مشاة الغال بأنهم تركوا في الميدان وحدهم، على الفور كفوا عن القتال وتراجعوا بعيداً هاربين تاركين خطهم الثاني ليواجه الرومان، وأصبحت أرض المعركة مليئة بالجثث وملطخة بالدماء لدرجة أنها أصبحت زلقة يصعب فيها القتال. ومرت لحظة من المعركة تراجعت فيها مقدمة الرومان تحت ضغط الخط الثاني لهانيبال ولكن ضباط الرومان تمكنوا من تجميع القوات الرئيسية وإنشاء خط أطول من خط هانيبال، وبذلك تمكنوا من صد الخط الثاني لهانيبال ودفعه إلى الخلف وتمزيقه إلى مجموعات صغيرة، وهرب من استطاع النجاة إلى الخط الثالث طالباً الحماية ولكن هانيبال رفض انضمام هؤلاء المهزومين إلى صفوف قواته المنظمة والتي لازالت في كامل نشاطها وقوتها ولم تشترك بعد في المعركة وأشهرت قوات المؤخرة حرابها مما جعل هؤلاء المهزومين يهربون إلى المناطق الجانبية لأرض المعركة واختفوا.

والآن ابتدأت المرحلة الثالثة من المعركة وكانت أعنف أطوارها فقد استعدت جنود

الخط الثالث لهانيبال للقتال في نفس الوقت كان للرومان سعداء لقضائهم على خطين من خطوط العدو، ولكن في نفس الوقت كانت قوات الرومان في أقصى حالات الإجهاد وكان يتحتم عليهم أن يواجهوا مشاة هانيبال الموجودين في الخط الثالث وهم في أكمل قوة ونشاط. ولكن سيبيو قام برباطة جأش غير عادية بالتفتيش على قواته ذات المستوى العالي من التنظيم حيث أمر بإرسال الجرحى إلى المؤخرة مع إرسال قوات المقدمة المجهدة إلى الأجنحة وقام بتكوين جبهة ممتدة قوية بعد إدماج القوة الرئيسية مع قوة المؤخرة حتى يستطيع توجيه ضربة قوية للعدو واختراق خطوطه وقد قال عنه بوليبيوس :- « لقد هاجم الخطين كل على الآخر بأقصى ضراوة وأكبر كمية نيران[1] وكان الجانبين تقريباً متساويين من حيث العدد والروح المعنوية والشجاعة والأسلحة واستمرت المعركة وقتاً طويلاً دون أن تحسم لأحد الطرفين، فكان الرجال يقاتلون ببسالة في كلا الطرفين ويسقطوا قتلى دون أن يسمح أحد منهما بمرور الآخر عبرة ولو خطوة واحدة ».

وأخيراً عادت فرسان ماسينيسا ولايليوس الرومانية بعد أن انتهت من مطاردة فرسان هانيبال، وقامت بضرب مؤخرة مشاة هانيبال فتبعثروا وقتلوا في أماكنهم وتمكن القليل جداً منهم الفرار بجلده وانتهت المعركة. انتهت بنصر سيبيو ويرجع الفضل أولاً وأخيراً للفرسان الذين أكدوا النصر بالمرور خلال المدينة كلها بتطهيرها من فلول الأعداء، أما هانيبال نفسه فقد هرب.

أما سيبيو فلم يحاول الزحف نحو قرطاجة لافتقاره لوسائل وإمكانيات الحصار، بالإضافة إلى رغبته في فرض شروط معتدلة للسلام أكثر من رغبته في فرض شروط انتقامية.

## التعليق على هانيبال وسيبيو

والآن سوف نناقش ونقارن بين مزايا كل من القائدين هانيبال وسيبيو وقد علق ليدل هارت على معركة زاما بقوله :- « في تلك المعركة تقابل سيد الحرب مع أعظم منه» وحقيقة هذه العبارة أن سيبيو فاز على هانيبال في المعركة الوحيدة التي تقابلا بها، ولذلك

(١) كمية نيران يقصد بها أقصى استخدام للأسلحة.

فليس من السهل تقييم المزايا القيادية لهذين القائدين، ولكن من الواضح أن هانيبال كان أفضل كقائد تكتيكي لأن عبقريته التكتيكية في معركة كانا لا يمكن مقارنتها بقيادة أي معركة عبر التاريخ الحربي كله. والجدير بالذكر أن جيش هنيبال في معركة كانا كان أقل في نوعيته من جيش سيبيو نتيجة لوجود عدد كبير من مشاته غير مدربة بالإضافة إلى أن فرسانه كانت نصف فرسان سيبيو مما أدى أنه لم يستطع استخدام تكتيكات الالتفاف التي حقق بها انتصاراته السابقة ولذلك كان عليه استخدام الفيلة واعتمد كل شيء في سير المعركة على سلوك هذه الفيلة، وقد أحدثوا له كارثة فادحة، ونرى بعد ذلك أنه في نهاية المعركة أبقى على أحسن قواته من المشاة فنجح في التصدي للمشاة الرومانية وكاد أن يفوز بالمعركة.

أما سيبيو فلم يبدو منه أي خطأ أثناء معركة زاما ويكفيه أنه قام بإعادة تنظيم قواته أثناء سير المعركة، فكان ذلك يؤكد سيادته على مجرى القتال. ومهما كانت مقدرة سيبيو وسيادته فقد ساعدته العناية الإلهية التي أعادت فرسانه في اللحظة الحرجة لمعاونة مشاته وقاما الاثنان بالحصول على النصر الذي يستحقانه بجداره.

أما هانيبال فقام بكل ما كان في وسعه، ولكنه في عام ٢٠٢ ق.م بعد ١٦ عاماً من قيادة مستمرة عظيمة، ألقى بنفسي في هوة النسيان في نفس الوقت وصل سيبيو وبدون منازع إلى القمة.

وقد كان سيبيو بالتأكيد أعظم التكتيكيين الرومان، وأدرك أن الافتقار إلى الفرسان هي نقطة ضعف الجيش الروماني، بينما كانت فرق المشاة الرومانية متفوقة على أي مشاة أخرى شهدها العالم، ولكن بدون فرسان أصبحت هذه الجيوش عاجزة إلى أبعد حد ولهذا السبب لم يكن الرومان يمثلون خصماً قوياً للجيوش المقدونية في القرن الرابع ق.م. وقد قام سيبيو بإصلاح ذلك النقص محققاً النصر في كل من باجراداس وزاما، ولكن يجدر هنا أن نقول أن سيبيو بإدراكه الحاجة إلى الفرسان مع استخدام أسلوب جديد لها ما هو إلا اعتراف بسيادة هانيبال في هذا المجال، لأن استخدام سيبيو للفرسان كان مماثلاً للأسلوب الكلاسيكي الذي وضعه الإسكندر وهانيبال، وتشكيل الهلال الذي طبقه في « اليبا » كان يشبه لدرجة كبيرة لتشكل هانيبال في كانا.

ولسوء حظ سيبيو أنه اعتمد بالنسبة للفرسان على حلفائه والمرتزقة بدلاً من اعتماده على الرومان المدربين. وفي حروب القرن الثاني ق.م « بعد سيبيو » وجد الرومان أنفسهم يواجهون بأعداء من المشاة فقط فنسوا تماماً دروس سيبيو التكتيكية. ولقد كان واضحاً أن كل من هانيبال وسيبيو امتازا بقدرتهما على التعامل مع الجنود. فقد قام هانيبال بغزو إيطاليا بجيش مشكل من عناصر مختلفة من كل أجزاء غرب البحر المتوسط. وقام بتدريب هذا الجيش وقاده نحو أعظم الانتصارات. كما قال بوليبيوس : « استمر هانيبال في إيطاليا يحارب روما لمدة ١٦ عاماً متواصلة دون أن يسرح جيشه ولو مرة واحدة بل احتفظ بأعداده الكبيرة تحت سيطرته بدون أن تظهر أي علامة استياء أو تذمر بين هذه القوات ».

ولقد كان بارعاً في علم النفس، ليس فقط لحفاظه على معنويات جنوده مرتفعة بل أيضاً لخداع وإرباك خصومه.

وكان كلا القائدين شجاعًا ومحبوبًا من جنوده وأظهر سيبيو تفهمه وإدراكه العميق للعامل الإنساني في الحرب فأخذ يجوب بين صفوف رجاله يثير فيهم الحماس، وفي نفس الوقت أمر هانيبال ضباطه بالمرور على الجنود وتشجيعهم. وعلى أي حال ربما يرجع عدم قيام هانيبال بمثل عمل سيبيو إلى مشكلة اختلاف اللغة في جيشه المتعدد الجنسيات.

وإذا كان هناك تفوق امتاز به سيبيو على هانيبال هو بلا شك الإستراتيجية التي حسمت الأمر في النهاية، وقد أظهرت سيبيو على أنه واحد من القادة العظام في التاريخ، بينما كانت استراتيجية هانيبال في إيطاليا بمثابة الفشل الكامل، لأن انتصاراته الثلاثة المتوالية في الفترة من ٢١٨ - ٢١٦ ق.م. لم تحقق ما كان يأمله من حدوث شقاق وتصدع في الشعب الروماني، وقد كان ماهربال على حق عندما قال لهانيبال بعد معركة كانا أنه لم يحسن استغلال النصر ومن العجيب أن هانيبال لم يحاول قط التدريب على أعمال الحصار فلم يفكر في احتلال روما ولكن كان يجب إجراؤها على الأقل ليخضع القلاع التي تعتمد عليها الإستراتيجية الرومانية الفابية[1]. وبعد معركة كانا فقد هانيبال المبادأة فأعطى الفرصة لفابيوس ليحول دفة الحرب ضده، ووجد نفسه فجأة محاصراً

(١) الإستراتيجية الفابية هي الإستراتيجية التي تعتمد على الحذر وتجنب الاشتباك بقدر الإمكان.

في جنوب إيطاليا ومن الواضح أنه لم يفهم أهمية القوة البحرية وعلى النقيض منه فقد أظهر سيبيو عظمته الحربية وبعد نظره في الإستراتيجية، بضرب قواعد العدو مباشرة عندما يكون ذلك ممكناً، وفي كل مرة يقوم بذلك يحصل على نتائج باهرة. فكان استيلاؤه السريع على قرطاجة الجديدة هي نقطة التحول للحرب في إسبانيا.

فخطته في إبقاء هانيبال في جنوب إيطاليا مع توجيه ضربة إلى إفريقيا لتدمير عقار دار العدو لإجباره على وقف نشاطه في إيطاليا كان ذلك عبارة عن إستراتيجية رائعة لقائد عبقري، وقد كان سيبيو على قدر كبير من الذكاء عندما استدرج هانيبال إلى المعركة النهائية في زاما وذلك بالسير خلال وادي باجراداس الخصب وتدميره، فهدد بذلك أهم موارد قرطاجة وفي نفس الوقت سحب هانيبال بعيداً عن قرطاجة نفسها بينما قصر المسافة التي سيقطعها ماسينيسا بفرسانه لينضم لفرسان الرومان فيتحقق التفوق في الفرسان التي سيكون لها دوراً حاسماً.

ويرجع النصر المطلق الذي فاز به الرومان على قرطاجة في الحرب القرطاجية الثانية إلى صمود شعبها في أعقاب كارثة كانا عام ٢١٦ ق.م وإلى تفوقها في البحر وإلى استراتيجية سيبيو.

### حرب العبيد الأولى

لقد كان كلا الجانبين في زاما يعلم تماماً بأهمية هذه المعركة وكما كتب ليفي : « قبل حلول الظلام سيعرف من سيضع القوانين للدول.. روما أو قرطاجة، ولن تكون هذه القوانين لإفريقيا أو لإيطاليا... بل سيكون العالم كله غنيمة للمنتصر ».

فمن المؤكد أن تلك المعركة حددت مصير غرب البحر الأبيض المتوسط، مع وضع شروط للسلام تضمنت نزع سلاح قرطاجة مع دفعها تعويضاً، وأصبحت نوميديا محمية رومانية وقسمت إسبانيا إلى مقاطعتين رومانيتين ويقيم فيهما جيش روماني بصفة دائمة، كما خضع السكان هناك للضرائب والخدمة العسكرية الرومانية، وهكذا انبثقت الإمبراطورية الرومانية بعد الحرب لقرطاجية الثانية.

وخلال القرن الثاني ق.م خاضت روما حرباً متواصلاً لمد نفوذها في منطقة البحر الأبيض المتوسط والمحافظة عليها. وفي عام ١٤٦ ق.م دمرت قرطاجة تدميراً نهائياً،

وقامت في مقدونيا ثلاث حروب. وفي معارك سينو سيفالا عام ١٩٧ ق.م وبيدنا عام ١٦٨ ق.م انتصرت فرق الرومان التي تتمتع بخفة الحركة على فرق الإغريق القوية، ولكن ظهر في بعض هذه الحملات عدم كفاءة القيادة وسوء تنظيم الفرق وأكثر من ذلك تفشي الفساد في الشخصية الإمبريالية الرومانية وعلى سبيل المثال، فقد ذبح أو استبعد الكثير من ضحايا معركة بيدنا. وفي عام ١٦٧ ق.م ألغيت جميع الضرائب المباشرة في إيطاليا، ومنذ ذلك القوت أصبحت روما تعيش على الجزيات الإمبريالية وتجارة الرقيق، ويحتم مثل هذا الاقتصاد إخضاع واستعباد مناطق إضافية أخرى. وأصبحت إفريقيا ومقدونيا واليونان وآسيا الصغرى مقطاعات رومانية. وأصبح الرومان مكروهين بسبب حكمهم الابتزازي وقامت ثورة في إسبانيا في عام ١٥٤ ق.م ضد الحكم الروماني القاسي، وبعد قتال ٤ سنوات استسلم بعض الثوار للقائد الروماني « جالبا » الذي أمر بذبحهم، ومع ذلك استمر الأسبان في القتال بحرب العصابات بقيادة فيرياتوس، ولكن في عام ١٣٣ ق.م وبعد ثماني سنوات من الحصار الروماني لهم سقط معقلهم في نومانتي، وكما حدث مع قرطاجة ومع كورنيت، فقد أبيدوا عن آخرهم.

وفي عام ١٣٥ ق.م قامت ثورة العبيد في صقلية والتي عرفت بحرب « العبيد الأولى » والتي استمرت وقتاً طويلاً ومضطرباً من التمرد والحرب الأهلية وانتهت الحرب في نوميديا وقضي عليها كل من جايوس ماريوس وسولا في الفترة بين ١١٢ - ١٠٦ ق.م.

### ماريوس وتعديلات الجيش

وقام ماريوس في الفترة ما بين ١٠٢ - ١٠١ ق.م بصد غزوات القبائل الجرمانية وقام بتعديلات هامة في الجيش في الفترة بين ١٠٤ - ١٠١ ق.م وبصفة خاصة تنظيم الفرق ونظام التجنيد والتطوع وكان يهدف من ذلك إيجاد تنظيم للجيوش يلائم كل الظروف. وقد مهد قواد كثيرون من قبله لهذه التعديلات مثال لذلك ما قام به أميليوس باولوس في بيدنا بتجميع السريا في مجموعات أكبر.

وقام ماريوس برفع مرتب الوحدة التكتيكية الرئيسية بدلاً من السرية « بها ١٢٠ جندي » إلى الكتيبة « بها ٦٠٠ جندي » لكي يعطي الفرقة أكبر قدر من التماسك مع احتفاظها بالمرونة وفي نفس الوقت قام بتحديد عدد جنود الفرقة ليكون ٦٠٠٠ مقاتل

وبذلك صار هناك ١٠ كتائب في الفرقة الواحدة، وكل كتيبة مقسمة إلى ست مجموعات كل منها بها ١٠٠ رجل وكل مجموعة يقودها قائد يدعى « قائد المائة » وألغيت حربة القذف التي ظلت مجموعات المؤخرة تستعملها لأمد طويل وتم تسليح الثلاث خطوط بنوع متقدم ومتطور من الرماح، واختفت مجموعات الفيليت وكذا فرسان الفرقة، ومن الآن فصاعداً أصبح الحلفاء هم مصدر الفرسان والمشاة الخفيفة وأصبحت الفرقة المشاة الثقيلة أكثر تعاوناً وقوة والتي كانت وسيلة يوليوس قيصر في فتوحاته كما أعطى ماريوس لكل فرقة علماً مميزاً به نسر لتستخدمه في إعطاء الإشارات وكنقطة للتجمع وأصبحت هذه الأعلام بمثابة شعارات للفرق وفقدها في المعارك يعتبر عاراً كبيراً. وكان تشابه الأعلام التي تستخدم في وقتنا الحاضر في كثير من الجيوش و النسور التي أعطاها نابليون لألويته، وأهم ما قام به ماريوس من تغيير في الجيش هو التوسع في نظام التجنيد والتطوع. ولما كان ماريوس نفسه من أصل فقير فكان نجاحه السياسي يدين للتأييد الشعبي، فلم يرض أن يكون جيشه من طبقة الأغنياء فقط ولذا فتح باب التجنيد والتطوع لكل من يرغب في الالتحاق بالجيش وأدى هذا التغيير إلى سرعة احتراف الجندية، أما على السياسة فكان تأثيره ثورياً فقد امتلأت العاصمة الإمبريالية بأعداد غفيرة من الجنود الكسالى الذين تطوعوا في الجيش وجعلوه مصدر رزقهم. وكان ولاؤهم كبيراً لقائدهم الذي أدخلهم الجيش وليس للدولة، لأن الدولة لم تكن قادرة على دفع أجورهم. ولذلك كان قائدهم يسلحهم ويتبعوه طالما كان ناجحاً، ويسمح لهم بسلب الغنائم من الأعداء. وقد أدى هذا إلى ظهور عدد من الساسة العسكريين في القرن الأول ق.م ومنهم ماريوس وسولا وبومبي ويوليوس قيصر. وكانت هذه البدعة أكثر من أي شيء آخر والسبب الرئيسي في الصراع، وقد كتب ساليست :-

« لقد ألقوا كل شيء... البشر والكهنة في بحر من الفوضى والارتباك حتى وصلوا إلى درجة الجنون، فأسفرت هذه الفوضى الأهلية عن حرب ودمار إيطاليا. »

وقد أدى تطور نظام المرتزقة عند الرومان أنهم هزموا أعداءهم كثيراً في الخارج، ويعني أيضاً أن سياسة روما الداخلية أصبحت تعتمد على القوة.

وقد اتسع مجال التطوع في الجيش عندما منح الحلفاء حتى التجنس بجنسية روما.

### سولا الدكتاتوري

ومنذ عام ١٠٦ ق.م أصبحت العلاقات على غير ما يرام بين كل من ماريوس وسولا، واصطدمت أطماعها السياسية، وفي عام ٨٨ ق.م قام ميتريديتس الرابع ملك بونتس[١] بغزو إقليم آسيا، بينما ثار الرعايا الأحرار في اليونان وقتلوا حاكمهم الروماني، وعلى الفور انتخب سولا قنصلاً ومنح القيادة الشرقية، فامتلأ ماريوس غيرة عندما وصله هذا النبأ وكان يسحق تمرداً في كامبانيا، فما كان منه أن توجه في ثورة غضبه إلى روما، منتهكاً التقاليد التي تنص على عدم دخول الجيش العاصمة، وأطلق رجاله في العاصمة وانتشر الماريانيون في الشوارع يحاربون وأصبح ماريوس نفسه خارجاً عن القانون فانطلق هارباً.

وفي أوائل عام ٨٧ ق.م بدأ سولا التقدم شرقاً ومعه خمسة فرق حيث استولى على أثينا ونهبها، ثم هزم بعد ذلك أرشيلوس القائد البونتي عند كايرونيا ثم أوركومنيوس أيضاً. وفي تلك المعارك استغل سولا التشكيلات الجديدة للفرق إلى أقصى حد. وأضاف إلى تكتيك المشاة مرونة وقوة دفع جديدتين. في ذلك الوقت غدرت عليه روما وقررت عزله ولكنه لم يرض بالتخلي عن قيادته.

وفي عام ٨٣ ق.م عاد بجيشه إلى جنوب إيطاليا وكان ماريوس قد مات، وفي نوفمبر عام ٨٢ ق.م دخل سولا إلى روما وهزم آخر خصومه في معركة خارج بوابة كلين، وقام بقتل جميع الأسرى في المدرج الروماني، ونصب سولا نفسه حاكماً ديكتاتوري، وقام بتأمين حكمه بالتخلص من ٣٥٠٠ من أعدائه يقتلهم وظل يحكم حتى اعتزل عام ٧٩ ق.م.

وأثبتت حكومة سولا بأنها حكومة مفيدة، ولكن الحقيقة المؤلمة أنها كانت حكومة ديكتاتورية تؤيدها القوة العسكرية.

### صلب ستة آلاف سجين

كانت القوة الأساسية للفرق الرومانية مشكلة من الجنود المتطوعين الفقراء

(١) بونتس : تقع شرق الأناضول.

والكسالى وكانوا على استعداد لبيع أنفسهم لأي قائد حتى لو كان عديم الضمير ومجرد من المبادئ والأخلاقيات.

وقد استطاع جنايوس بومبيوس[1] أن يصبح أحد قادة المرتزقة.

وخلال السبعينيات انفجرت ثلاث ثورات خطيرة ضد روما، ففي عام ٧٦ ق.م أرسل بومبي إلى إسبانيا ليخمد التمرد الذي قام به القائد الروماني السابق كونيتوس توريوس وكان هذا القائد من تلاميذ ماريوس، وقام بتدريب جيشه على البراعة في كل من تكتيك الفرق المشاة وحرب العصابات، وكان يسيطر على كل إسبانيا واستطاع في أول الأمر التفوق على بومبي ولكن في عام ٧٢ ق.م أخمدت هذه الثورة.

وفي عام ٧٢ ق.م قام ماركوس لوسينيوس كراسوس بإخماد ثورة قام بها العبيد تحت قيادة المصارع سبارتكوس وقد حوصر العبيد بواسطة زلزال على أطراف إيطاليا واقتيدوا ليقوموا بأعمال الحفر على طول الطريق « من روما إلى كابوا » حيث صلب ٦٠٠٠ منهم. في ذلك الوقت كان لوسيوس لوكولاس مشغولاً في إخماد الاضطرابات التي قام بها ميتريدتس. واستطاع في الفترة بين عام ٧٣ - ٦٩ ق.م من تطهير آسيا الصغرى. ولكن عندما بدأ التقدم نحو أرمينيا قام جنوده بالتمرد فاضطر إلى العدو قبل أن يكمل النصف الثاني من مهمته.

وكان لوكولاس قائداً كفؤاً وشجاعاً كما كان إنساناً يعترف بالقيم الإنسانية أكثر من أن يكون قاهراً وغازياً، كما كان في نفس الوقت غاية في الصرامة والنظام حتى يضمن ولاء المرتزقة وجنود روما المحنكين. وبعد عودته اعتزال الحياة العسكرية ليقضي بقية حياته في هدوء وترف ونعيم.

وكانت أقوى شخصية في روما خلال الستينيات هو بومبي، فخلال حروب ميتريدتس أصبحت القرصنة مصدراً للإزعاج والخطورة، فكانوا يعملون في جميع أنحاء البحر الأبيض في تعاون قريب، متخذين كريت وسيليسيا قاعدة لهم. وكانوا يمتلكون حوالي ١٠٠٠ سفينة مطلية بالذهب والفضة والأرجوان.

(١) جنايوس بومبيوس : وهو أحد ضباط سولا وقد عرف باسم بومبي.

وكانوا يعانون كل من سيرتوريوس وميتريدتس، وأصبحت غاراتهم تتميز بالجرأة فسببت خسائر فادحة، واستولوا على مدن وجزر منطقة بحر إيجة وقاموا بغارات على سواحل إيطاليا لاختطاف الأغنياء وعلى سبيل المثال اختطفوا يوليوس قيصر وهو صغير، وأخطر من ذلك كله هو قطع واردات القمح عن روما لذلك وضع علة عاتق بومبي عملية تصفية هؤلاء القراصنة.

## القضاء على القراصنة

وقام على الفور بحشد ٢٧٠ سفينة وتكوين عشرين فرقة وقدراً كبيراً من المال «٦٠٠٠ تالنت» وقسم كل من البحر الأبيض والأسود إلى ثلاث عشرة قيادة كل منها تحت إمرة قائد يسمى ليجاتوس. وكان كل ليجاتوس عليه أن يحاصر سفن القراصنة مع إخضاع قلاعهم الموجودة في منطقته. وكان هؤلاء القادة يعملون متعاونين لمنع سفن القراصنة من مساعدة بعضها البعض. وفي ربيع عام ٦٧ ق.م قام بومبي ومعه أسطول مكون من ٦٠ سفينة وأخذ يجوب البحر المتوسط من الغرب إلى الشرق. وكان يستخدم أسلوباً تكتيكياً مستحدثاً بأن يجبر سفن القراصنة للدخول في مدى الضرب لسفنه الأخرى المنتشرة في المنطقة. وفي خلال أربعين يوماً تم تطهير المنطقة الواقعة غرب إيطاليا. وقام بزيارة سريعة لروما لتفقد الأمور السياسية ثم استأنف عملياته من بروندیزیوم[1]. ومع تحرك الرومان شرقاً تحول حصار موانئ سيليسيا إلى هجوم شامل بينما كان الغرب في حالة من الأمان، وأخذت القراصنة في الاستسلام عندما شاهدوا المعاملة الحسنة للأسرى. أما القراصنة الأقوياء المتهورين فقد هربوا إلى حصون مختلفة. فأعد بومبي قوة كبيرة معززة بأدوات الحصار وبعد أن هزم آخر القراصنة أمام شواطئ كوراسيزيوم، قام بحصار معقلهم الموجود على الشاطئ وكان عبارة عن قلعة مقامة على صخرة عالية منحدرة بحدة على البحر وتتصل بالشاطئ عن طريق برزخ ضيق، وباستسلام المدافعين في هذه القلعة استسلمت باقي القلاع في سيليسيا، وقد استغرقت عملية التطهير من بدايتها إلى نهايتها حوالي ثلاثة شهور. وقد أظهر بومبي مقدرة رائعة كقائد بحري ليس لأنه من قادة الحرب البرية بل أيضاً لأن الرومان كانوا

(١) بروندیزیوم وهي برنديزي

قليلي الخبرة في معارك البحر. ولكن عندما استعدت الظروف لذلك، عادوا إلى قتال البحر ولكن عندما انتهت تلك الظروف عادوا ثانية إلى حياة الأرض واضعين السياسة الخارجية والإستراتيجية في إطار يمكنهم من تحقيق أغراضهم من هناك. ولم يبنوا أسطولاً كبيراً إلا عندما اضطروا للقتال مع القوة البحرية الكبيرة القرطاجية. واستطاعوا في خلال ستين يوماً بناء ٢٠ سفينة من النوع ثلاثي المجاديف و١٠٠ أخرى من السفن السريعة. وكانت الخطة التي اتبعوها هي وضع السفن الرومانية على طول خط سفن الأعداء بحيث يمكن لجنودهم من العبور بعد ذلك إلى سفن الأعداء عن طريق ممرات خشبية توصل بين السفينتين.

وحقق ديليوس نصراً مثيراً بالأسطول الجديد في صقلية فقد أغرق أو أسر أربع وأربعين سفينة معادية.

بينما ضاع النصر الثاني أمام رأس إيكونامس عندما فقد الأسطول على أثر عاصفة هوجاء وفقدت روما خلال تاريخها البحري سفناً نتيجة للعوامل الطبيعية أكثر مما فقدته نتيجة للعدو، وكان انتصاراً دريبانا البحري عام ٢٤١ ق.م خاتمة للحرب القرطاجية الأولى. وفي الحرب القرطاجية الثانية، « ٢١٨ - ٢٠١ ق.م » ساهم تفوق روما البحري في تحقيق انتصارها الكامل، فضاعت الفرصة من هانيبال لإعادة تقوية نفسه في جنوب إيطاليا في الوقت كان الرومان يغزون إفريقيا. وقد أهملت روما أسطولها خلال القرن الثاني ق.م واعتمدت على أسطول حلفائها من رودس وبرجامو. وعندما أصبحت روما المسيطرة على جميع بلاد البحر المتوسط، أهملت سيادتها للبحار ونتج عن ذلك انتشار القراصنة.

أما في نهاية ٥٩ ق.م وصلت أنباء إلى روما بقيام هجرة من سويسرا عبر الجنوب الغربي للغال.

## يوليوس قيصر يظهر على مسرح السياسية :

كلف يوليوس قيصر حاكم أليريكوم والغال بهذه المهمة، وبمجرد أن انتهى من واجباته كقنصل في هذا العام تحرك بسرعة فائقة إلى جنيف في ذلك الوقت كان عمره ٤١ عاماً وتجربته العسكرية السابقة محدودة، ففي عام ٨١ ق.م خدم في آسيا الصغرى، وفي

حرب ميتيلين حصل على وسام الوطنية لإنقاذه لحياة جندي من زملائه، ولكنه بعد ذلك ركز اهتمامه على الأعمال السياسية وضمن لنفسه مركز قنصل بعد أن توصل في عام ٥٩ ق.م لاتفاق مع كل من بومبي وكراسوس لأنه ابن عم لماريوس. وقد شق يوليوس طريقه وأصبح قنصلاً عن طريق النفوذ السياسي وجمعه بين التهديد العسكري والقدرة على الخطابة والتعامل مع طبقات الدنيا وعامة الشعب. ومن المحتمل عندما أسرع إلى جنيف عام ٥٨ ق.م مع تيتس لابينوس لم يكن في نيته غزو الغال، ولكنه كان طموحاً ويريد اكتساب شهرة ويكون لديه جيشاً قوياً حتى يستطيع البقاء متربعاً على قمة السياسة الرومانية.

وفي بداية صيف عام ٥٨ ق.م أقام سلسلة من الحصون في وادي الرون لمسافة ١٩ ميل ثم هزم السويسريين بعد ذلك عند أرميسي وتحول بعد ذلك إلى الغال في صورة منقذ وليس فاتحاً، ثم واصل تقدمه شمال الحدود القديمة لروما لتطهير الألزاس من الغزاة الجرمان الذين استوطنوها حديثاً واكتسحت ست فرق ليوليوس في تشكيل الخطوط الثلاثة سبع قبائل جرمانية بالقرب من فيسونتيو.

وفي شتاء ٥٨ – ٥٧ ق.م، ترك يوليوس فرقة في تلك المنطقة مما أدى إلى حقد بيلجا[١] لهذا الاختراق للجيوش الرومانية. وفي ربيع ٥٧ ق.م هرع يوليوس قيصر شمالاً ليواجه الجيش البيلجي المكون من ٣٠٠.٠٠٠ مقاتل بقيادة جاليا عند نهر إيسن. وقد اتبع الجيش البيلجي أسلوباً بدائياً بربرياً فقاتلوا بجماعات غير منظمة من المشاة، ومعظمهم غير مسلحين إلا بسيف طويل ودرع من الخشب أو الوتل[٢] وكانوا يقاتلون وهم نصف عرايا، في نفس الوقت قادتهم يلبسون دروعًا واقعية للصدر من البرونز وعلى رؤوسهم خوذات مزخرفة. وقد كان أسلوبهم الوحشي البربري في القتال ينجح دائماً، ولكن عندما طبقوه مع الرومان كما قال فوللر :« تحطمت الشجاعة على صخرة النظام » واستغل يوليوس قيصر الانشقاق بين قبائل البلجية فحارب كل قبيلة على حدة وفي نهاية عام ٥٦ ق.م، تم له فتح كل الغال فيما عدا «ماسيف الوسطى»

(١) بيلجا. إحدى أجزاء التحالف الجرماني للقبائل التي استوطنت شمال لغال.

(٢) الوتل عبارة عن قضبان مضفرة من الأغصان.

## يوليوس قيصر يغزو بريطانيا

وفي خريف عام ٥٥ ق.م قام يوليوس قيصر بأول رحلة له إلى بريطانيا وفي الواقع كانت رحلة استطلاعية. وفي يوليو عام ٥٤ ق.م أبحر أسطول يمكن أن يقال عنه من أضخم ما شهده بحر المانش لما قبل حرب ١٩٣٩ - ١٩٤٥ متجهاً نحو ساندويتش ويحمل خمس فرق و٢٠٠٠ فارس من الغال وكان البريطانيون منزعجين جداً من مواجهة هذا الحشد الضخم عند نزوله إلى الشاطئ فما كان من يوليوس أن طاردهم داخل البلاد ولكنه سمع خلال أربع وعشرين ساعة بأن سفنه دمرت نتيجة للطقس السيئ وهنا تشجع البريطانيون وبدؤوا حرب العصابات وكانت عنيفة يقودها كسفيلونس. وعموماً فقد هزمهم يوليوس في معركة بالقرب من برينتفورد واستولى على قلعة كسفيلونس على الجانب الآخر من نهر التيمز. وحان الوقت ليعود إلى الغال لذلك فرض شروطاً معتدلة على البريطانيين ثم انسحب ولم يعد الرومان بعد ذلك إلى بريطانيا لمدة مائة عام. ولم يحدث مطلقاً أن دفع البريطانيون ما فرض عليهم من الجزية. ويجب النظر لعملية الغزو الذي قام بها يوليوس لبريطانيا بشيء من العمق ويمكن تفسيرها بأنها مجرد تغطية للفشل.

ولم يكن عامل الوقت هو الاعتبار الوحيد لعودة يوليوس إلى الغال ولكن لاعتبارات أخرى وهي قيام الثورات التي تفجرت في عدة أماكن هناك. وفي عام ٥٣ ق.م ظهر أمبيوريكس قائد للمتمردين وكان يقود الأيبورنز وقد أباد فرقة رومانية كاملة بالقرب من أمينز ثم حاصر معسكراً رومانياً مستخدماً الأسلوب الروماني في الحصار. وقد قام يوليوس بفك هذا الحصار. فاضطر يوليوس أن يقضي باقي السنة في سحق الأبيورونز. أما أمبيوريكس فقد دفع به نحو الأردين، كما جلد قائداً آخر للمتمردين حتى الموت. وبنفس النمط تمت تصفية الأيبورونز بتدمير محاصيلهم وماشيتهم كما يقول يوليوس :

« لقد تم حرق كل ما يمكن أن يراه المرء من قرى صغيرة ومنازل وما حولها» وقد ساعد الانشقاق العميق بين المتمردين أن استطاع يوليوس النيل منهم، ولكن في عام ٥٢ ق.م ظهر قائد جديد لهم.. وتمكن بقسوته ونظامه أن يوحد بين ثوار الغال وكان يدعى أنتوي فرسنجتركس قائد الأرفيرني.

في بداية العام قام يوليوس قيصر بتقدم مفاجئ عبر التلال الثلجية، مما أدى إلى إرباك العدو حتى أمكن محاصرة القلعة التي يحتلها أفاريكوم « بورج » وهنا قرر فرسنجتركس استخدام أسلوب حرب الإنهاك والاستنزاف وتجنب مواجهة فرق يوليوس بقتال سافر، وذلك باستخدام حرب العصابات. وحاول فك حصار أفاريكوم بإشعال النيران في المنطقة حول المدينة كلها لحرمان الرومان من الطعام، ولكن يوليوس استولى على المدينة وقتل جميع سكانها واستولى على مخازن القمح بها. وأخيراً استطاع يوليوس محاصرة القلعة التي يحتلها فرسنجتركس نفسه في باليسيا ولكنه هوجم بجيش قوي من الأعداء من الخلف وحاصره هو وقواته، وبذلك أصبح يوليوس محاصراً بينما هو يحاصر القلعة إلا أنه سيطر على مساحة خمسة وعشرين ميلاً من الخنادق والمواقع الدفاعية، وفي النهاية تمكن من هزيمة الجيشين المعاديين داخل وخارج القلعة وكان هذا الانتصار الرائع بمثابة تحطيم السلسلة الفقرية للثورة الغالية وتم وضع سلام مبني على الحرية وبذلك لم تعد الغال تمثل أي خطر على روما.

وفي نفس الوقت تغير الوضع السياسي في إيطاليا تغيراً كاملاً.

## كارثة روما

وفي ربيع عام ٥٣ ق.م عبر كراسوس نهر الفرات حيث اصطدم بالعدو عند كارا، وكان جيش العدو يتكون من ١٠٠٠ مقاتل من الرماة الثقيلة و ١٠.٠٠٠ من الرماة الراكبين وخلف هؤلاء يوجد ١٠٠٠ جمل محمل بأعداد كبيرة من السهام كاحتياطي للقوات تحت قيادة سورناس. اتخذت القوة الرئيسية لجيش كراسوس تشكيل مربع وصمدوا أمام وابل من السهام الذي ظل ينمو عليهم حتى هبوط الليل. وخلال الليل بدأ كراسوس في الانسحاب نحو التلال، ولكن الجمل الذي كان يقوده ضل الطريق... وسقط كراسوس في الفخ، ثم اغتيل هو وأركانات حربه أثناء إجراء مفاوضات الاستسلام مع سورناس وفر حوالي ١٠.٠٠٠ مقاتل من جيش كراسوس الذي يقدر بحوالي ٣٦.٠٠٠ مقاتل وكانت معركة كارا بمثابة كارثة للرومانيين إذا قورنت بكل من كودين فوركس وكانا.

وفي خريف عام ٥٠ ق.م عندما عاد يوليوس إلى إيطاليا، لم يكن هناك سواه. وبومبي

يتصارعان على السلطة. وقد ذاع في روما قسوة يوليوس قيصر في الغال، وتخوف الجميع أن يصبح سولاً آخر وقد صرح بعض الشيوخ علانية أنهم سيتهمونه بالخيانة العظمى بسبب عودته، وفي هذه الظروف لن يكن هناك مفر من حرب أهلية وخاصة أن يوليوس له جيش يدين له بالولاء والإخلاص ويتكون من تسع فرق أما بومبي فله جيش مكون من عشرة فرق منها سبعة في إسبانيا علاوة على سيطرة بومبي على الأسطول. وكان يوليوس يحظى بولاء شعبي أكثر مما يحظى به بومبي.

وفي يناير عام ٤٩ ق.م تأهب يوليوس للحرب وعبر نهر روبيكون[1] زاحفاً نحو الجنوب، أما بومبي فلم تكن لديه الرغبة في الدخول في معركة سافرة مع فاتح الغال وقواته المحترفة المحنكة وذلك لأنه لم يشهد أي عمل حربي منذ عام ٦٢ ق.م علاوة على ضعف قواته من الناحية العددية والتدريب، ولذلك قام في نهاية شهر مارس بترحيل جيشه بحراً من برونديزيوم، في الوقت الذي كان يزحف فيه يوليوس قيصر وجيشه نحوه، وفي خلال عشرة أسابيع من عبور يوليوس لنهر روبيكون تمكن من السيطرة على إيطاليا ودخل روما دون أي قتال.

. وفي أبريل عام ٤٩ ق.م رحل يوليوس إلى إسبانيا، وهناك خلال سبعة شهور أخضع الفرق السابعة التابعة لبومبي دون إراقة أي دماء وضمن ولاءهم، وبعدها زحف سريعاً وعند نهر سيكوريس بالقرب من إليردا أوقع خصمه في شرك في إحدى الممرات الضيقة حيث استسلمت هذه القوات.

## يوليوس قيصر وكليوباترا

وفي يناير عام ٤٨ ق.م عبر يوليوس وجيشه إلى مقدونيا، حيث تسلل خلف سفن دوريات بومبي وأنزل سبع فرق شمال كورسيرا. وحاصر جيش بومبي في ديرا كيوم مدة من الوقت حتى بادر جيش بومبي بالقتال في أغسطس ودارت أعنف المعارك في الحرب الأهلية وخاضها الجيشان عند فارسالوس في بتيسالي. وكان بومبي يرغب قبل وقوع هذه المعركة في تجنب القتال ولكن ضباطه نفد صبرهم، وأدى هذا أن لحقت الهزيمة بجيش بومبي منذ البداية لإخفاق لابينوس في دفع فرسانه الموجودين في اليسار إلى

(١) بالقرب من أريمينيوم.

المعركة. وفي اليوم التالي استسلمت جميع القوات المتبقية من جيش بومبي بينما فر بومبي إلى مصر. وبعد ذلك كان على يوليوس أن يتخلص من أتباع بومبي الموجودين في مختلف القطاعات، فقام أولاً بالسير في أثره إلى مصر حيث قتله ووقع في حب الملكة كليوباترا، وبقي في مصر تسعة شهور. وفي يوليو عام ٤٧ ق.م تمكن من هزيمة الفارناس المتمردين في زيلا وأرسل بعدها رسالة إلى روما موجهة إلى أعضاء مجلس الشيوخ يبلغهم بانتصاراته العظيمة. مر حوالي عام على معركة فارسالوس في ذلك الوقت وحد أتباع بومبي صفوفهم في إفريقيا تحت قيادة لابينوس، وفي ديسمبر عام ٤٧ ق.م نزل يوليوس قيصر إلى إفريقيا بفرقة واحدة و٦٠٠ فارس، وفي البداية اصطدم بمقاومة عنيفة، ولكن وصله في الربيع التالي الإمدادات والتعزيزات فساعدته على إنهاء حملة إفريقيا بانتصاره في ثابسوس.

وفي عام ٤٥ ق.م هزم آخر ما تبقى من أتباع بومبي في إسبانيا عند موندا[1] وبذلك أصبح يوليوس قيصر سيد العالم كما أصبح دكتاتور روما الدائم.

وبالرغم من أن حكمة لم يكن بغيضاً إلا أنه اغتيل في نهاية الأسبوع الثاني من مارس عام ٤٤ ق.م على يد كل من الجمهوريين بروتس وكاسيوس.

## يوليوس قيصر كقائد وسياسي

بالرغم مما حققه يوليوس من نجاح وانتصار كبير، إلا أنه كان عرضه للنقد، فقد فشل في إجراء التغيرات الضرورية لإعادة تنظيم جيشه فكان يفتقر للمشاة الخفيفة مما استغرق وقتاً أطول في هزيمة الغاليين، علاوة على أنه لم يقم بتدريب فرسانه للوصول إلى المستوى اللائق، بل اعتمد على البرابرة في الخيالة. وقد كان الاستطلاع في جيشه رديئاً جداً وأهمل خطوط مواصلاته وأدى هذا الإهمال أن أسطوله كاد أن يفقد مرتين عند الساحل البريطاني ولم يكن لديه هناك أجهزة لإجراء الإصلاحات اللازمة، علاوة على سوء الإمداد وقطع خطوط المواصلات عند كل من إليردا وديرا كيوم لدرجة أن الكثير من جنوده كانوا يموتون جوعاً.

(١) موندا بالقرب من قرطبة.

علاوة على ذلك كان يوليوس قيصر شاذاً في تفكيره الإستراتيجي، فبعد أن قضى على الغال قام بقضاء الصيف في جزيرة نائية، ليس لها أي أهمية اقتصادية أو سياسية أو إستراتيجية، بينما كانت تندلع خلفه ثورات كثيرة، ولم يظهر يوليوس أي أبداع كرجل تكتيكي وتنظيمي، فأهمل قوات الفرسان، وقاتل في جميع حروبه ضد مختلف أعدائه بالفرق المشكلة على ثلاثة خطوط وهو التشكيل التقليدي المحض ولكنه بالرغم من ذلك كان أعظم قادة الرومان في قيادة المشاة علاوة على قيامه بتطوير الفرق المشاة بعض الشيء.

وكان نهجه في السياسة كنهجه في القتال، فعندما وصل إلى قمة السياسة كانت قراراته وأعماله سريعة، وكان جريئاً لأبعد الحدود ومندفعاً بل ومتهوراً، وعلى العموم ساعدته خفة الحركة والمبادأة في جميع حروبه.

وكانت شخصية يوليوس مميزة ومن أكبر عوامل نجاحه، فمجرد أن يشعر جنوده بوجوده بينهم كان هذا يعطيهم التأكيد والثقة في النصر. وكانت بشاشته وذكاؤه من العوامل التي أدت إلى إخلاص رجاله له حتى النساء لم تستطع مقاومته. وكان في نفس الوقت سياسي ماهر وله شعبية وموهبة خطابية فذة. وكان السبب الرئيسي في أن الشعب الإيطالي تبعه في الحرب الأهلية هي شعبيته وحبه لعامة الشعب. وكان يعتمد دائماً على القوة والبطش ومثال لذلك ما قام به من بشاعة وقتل وانتقام وبالرغم من ذلك فعنده انتصر في الحرب الأهلية كان متسامحاً ومتساهلاً مع أعدائه، ولذلك أصبح من المشكوك فيه أن يكون مختل العقل.

وبعد موته... تصارع مختلف السياسيين طمعاً في إمبراطوريته، إلى أن تمكن أخيراً ابن أخيه أوكتافيان من هزيمة أنطونيو وكليوباترا في موقعة أكتيوم البحرية عام ٣١ ق.م، وبذلك أصبح أول أباطرة روما.

لقد أردت أن أقدم لك - أيها القارئ العزيز - هذه التحفة التاريخية الرائعة لما فيها من أحداث شيقة ورائعة استحوذت تماما على تفكيري وعقلي، ونالت إعجابي وتقديري.